فوكس حلب

العدد ١٦ الخميس ١٦ آذار ٢٠١٧

فيتشر

في حارم الرصاص يحرم عريساً من فرحه ص ١٩

ثقافة وناس

حمام دمشقي وقدود حلبية: تراث يرافق السوريين إلى مصر ص ١٧

"الأصالة" مشروع فني سوري في تركيا ص٢٣

ميدان وسياسة

جنيف 4 وسلاله الفارغة ص ٥

الباب من أولى صرخات الثورة في حلب وآخر فصول "درع الفرات”ص٨

فتيات الريف الشرقي يعُدن إلى المدارس ص ١٢

"مجزرة السرايا" في مدينة الباب.. ضحايا “منسيّون" ص ١٤

مدينة الباب معشوقة الموت الذي يرفض هجرها ص ٢١

رئيس التحرير

تيم علي

Taimali.focus@gmail.com

مدير التحرير

آدم يوسف

adam.joseph.sy@gmail.com

تحرير

مصطفى أبو شمس　　محمود عبدالرحمن

كاتب مساهم

رعد أطلي　　فادي سعد

سعيد غزول　　عبيدة نبواني

مصطفى حسين

مراسل ميداني

اسماعيل عبد الرحمن

مرح محمد

لمراسلة الجلة

focusaleppo@gmail.com

شكراً للثورة السورية في عيدها

يمر عيد الثورة السورية، بعد ست سنوات ثرية بكل أساليب التعبير عن هموم الشارع وتطلعاته الحضارية، في التخلص من الحكم الديكتاتوري الطائفي وبناء وطن يحمل في طياته، شكل الهتافات والصور والأحلام والأغاني التي تمثلها أبناء الثورة في مظاهراتهم، حين خرجت من بين الموت والدمار والجور، لتغدو أيقونات عرّت خلال مسيرتها كل هذا التواطؤ الدولي وتبرير الوحشية والظلم وأسقطت قناع العدالة وحقوق الإنسان.

يمرُّ هذا العيد بلا حلب هذه المرة، بلا داريا والوعر، بلا أغاني القاشوش، فلا مظاهرات من جامع آمنة ولا هتافات "ياالله ارحل يا بشار" في طريق الباب والشعار ولا أعلام للثورة تملأ أزقة مساكن هنانو والسكري وبستان القصر.

بعد ست سنوات من انطلاق الثورة المستحيلة، كما صنفها أكثر المتفائلين وقتها، يأتي عيدها كآخر ثمرات الربيع العربي المأزوم، بخريطة جديدة وشكل جديد وربما بثوار جدد ولكنها باستمرارها كانت الثورة الأكثر إدهاشاً والأكثر حياة، مهما نقصت الخريطة أو زادت.

منذ أيام وفي حديث مع صديق لم يشارك في المظاهرات يوماً، قال لي "أنه من لم يعش زمن المظاهرات، زمن الهتافات واللافتات، زمن القاشوش وعبد الوهاب الملا، زمن البكاء فرحاً، فكأنه لم يعش يوماً"

ربما كانت الكلفة باهظة اذ تجاوزت حاجز المليون شهيد ومثلهم من المعتقلين وأضعافهم من اللاجئين، ولكنها حققت هذا التوازن الحقيقي لمفهوم الثورة وعمقته وأصلته في داخل كل الأجيال، لم يعد معظم السوريين الذين عاشوا 15 آذار 2011 يجيدون الحياة على الهامش، ولن يكتفوا بعدها بالصمت وارتداء قناع الرضا بكل شيء والصبر على الجور، لم تعد أحلامهم مقتصرة على الخبز، بل تعدت ذلك ليصبح همهم البحث عن وطن وربما بتعبير بسيط "شوية كرامة"

صار لكل منا قصص نرويها لأطفالنا، حكايا تجعل من القشعريرة فعلاً لا إرادياً يسري في جلودنا، وحكايا جديدة تصيبنا بالقرف وفي أفضل الاحتمالات بالغثيان، بعد أن أغلق العالم أذنيه عن سماع أصواتنا، وحين غدت المأساة التي يعيشها السوريون اليوم تجارة رابحة للكثير من القنوات التلفزيونية والمنظمات الإنسانية وتَحوَّل شهداؤها إلى أرقام لم تعد تتصدر الأخبار العاجلة، سقطت حلب أمام مرأى العالم وسمعه بعد أن خنق الحصار أهليها وهجرهم باتفاق مذل، تتحمل مسؤوليته القوى الدولية التي وصفت نفسها كصديقة للثورة السورية، من تصريحات جبير السعودية، مروراً بالخطوط الحمراء التي رسمتها تركيا ليعبر من فوقها الروس وقوات الأسد دون اكتراث، وصولاً إلى الدول الأوروبية التي ابتلع القط لسانها فلم تعد تساند هذه الثورة حتى بالكلام، أما أمريكا ترامب تقف بعيداً لتنتهز الفرصة بالانقضاض على الحصة الأكبر مع محاولات بكائية دائمة لمندوبيها في الأمم المتحدة على صور الأطفال كي تظهر نفسها كمن لا حيلة له.

نحن لا نحتاجهم فالثورة السورية وبحق ستبقى ذلك الخزان الذي سيكتب التاريخ من جديد، الثورة التي أسقطت كل الاقنعة والهياكل الدولية العفنة، ستسقط الأسد وعصابته، بعد أن كشفت الانحطاط الأخلاقي والقانوني لكل منظمات العالم أمام عجزها عن الوقوف إلى جانب مدني محاصر، فمنذ الأيام الأولى للثورة كان الشعار الأهم الذي صدحت به الحناجر " سوريا بدها حرية" هي لا تحتاج إلى ارتهان جديد رغم كل المحاولات التي أثقلت كاهلها، لتظهرها طوراً كثورة إرهابية وتارة كحالة عبثية عشوائية بلا مشروع واضح ولا إيديولوجيا.

عندما سأل محمود درويش يوماً حين غادر بلاده "ما اللاجئ يا جدي" أجابه جده "اللاجئ أن لا تعود طفلاً بعد الآن" ،فالثورة مستمرة وليسقط العالم بأسره بطائراته وسياساته وكذبه، فأبناؤها خبروا معنى أن تكون حرّاً، ولم يعد بإمكان أحد أن يزيح ذلك الشعور من نفوسهم، صار لهم فكرهم ونظرتهم السياسية وحلمهم في بناء وطن، صار لأعين أطفالهم ذلك البريق الذي يوحي بغد لا بد أن يكون لهم، صار لشبابها شراكة بين دفء البندقية ودفء أرواحهم

شكراً للثورة السورية في عيدها، وشكراً للوقت الذي سمح لنا أن نكون جزء منها.

أسرة التحرير.

جنيف 4 وسلاله الفارغة

انتهى مؤتمر جنيف 4 كما كان متوقعاً له تماماً، وهو ترحيل المفاوضات إلى جنيف 5 الذي سينعقد في آذار الجاري حسب المبعوث الأممي ستيفان دي مستورا، وسيدور حول أربعة محاور، وهي الحكم والدستور والانتخاب ومكافحة الإرهاب، هذا البند الأخير الذي أضافه النظام "الحريص على القضاء على الإرهاب الذي يؤرق الإنسانية".

انعقد مؤتمرا الآستانة وجنيف 4 في وقتين متقاربين جداً. قضى الأول بهدنة لوقف إطلاق النار وتقديم مقترح دستور برعاية روسية، أما مؤتمر جنيف 4 فدخله الروس وما زال لسان حالهم يقول: "لسنا متمسكين بالأسد، لكننا لا نرغب بأحد غيره".

هكذا إذن يكون الروس الذين منعوا الأسد من السقوط منذ نهايات عام 2015 بقوة عسكرية كبيرة هم الراعون الرسميون للحل السياسي، وقد بدت رغبتهم واضحة في الأستانة بذلك، لكن دستورهم الموضوع لم يلق أصداءً منذ إغلاق أبواب المؤتمر هناك.

شعر الروس بضعف الأداء الأحادي الجانب لهم دون الولايات المتحدة على الرغم من تواجد الأطراف الإقليمية الأهم المتمثلة بإيران وتركيا، فعادوا مرغمين إلى العمل ضمن المستوى الأممي وأقروا بأن الآستانة خطوة نحو تحسين شروط جنيف. ولحالة الضعف الواضحة لدى لروس على المستوى الدبلوماسي بدأوا يدخلون في ألعاب أخرى على المستوى الداخلي السوري، في التدخل في تشكيل وفد المعارضة.

كانت هيئة المفاوضات العليا المنبثقة عن مؤتمر الرياض تشكل العمود الفقري لوفد المعارضة في مفاوضات جنيف السابقة، لكن الهيئة خاضت المفاوضات الأخيرة بحالة هشة فرضتها الظروف الميدانية والسياسية.

فعلى الأرض خسر الثوار الكثير من المناطق لصالح النظام وكان أبرزها حلب الشرقية. ورغم احتواء الوفد على ممثلين لبعض الفصائل العسكرية، إلا أن تلك الفصائل فقدت من وزنها وشرعيتها بعد الهزائم التي منيت بها. بل إن الفصائل التي شاركت في جنيف 4 كانت حصراً تلك المحسوبة على تركيا، بخلاف تلك التي شاركت في مؤتمر الأستانة، والتي كانت أكثر تمثيلا وتأثيراً وضمت جيش الإسلام الذي لم يحضر جنيف 4.

وفد المعارضة كان غير ذي ثقل بالنسبة حتى للمبعوث الدولي ستيفان دي مستورا الذي صرح أنه إن لم يتقرر تشكيل وفد للمعارضة سيقوم هو بنفسه بتشكيله، وهو ما أتى منسجماً مع الضغوط التي مارستها روسيا على الهيئة العليا للمفاوضات للقبول بأعضاء في الوفد من منصتي موسكو والقاهرة. ويكفي أن يكون قدري جميل من منصة موسكو، المقيم في دمشق ونائب رئيس الوزراء السابق الذي تم تعيينه في فترة كان الشعب السوري يتلقى الرصاص بصدره العاري، أحد أعضاء الوفد المعارض.

لعل اللعب بتشكيل وفد المعارضة وإدخال وإخراج من هب ودب يدل على الانقطاع بين القوى السياسية المعارضة وبين الشارع، حيث لا تملك أي من جهات المعارضة شرعية التمثيل، خاصة في المرحلة التي يعيشها الائتلاف الوطني الذي يعاني استقالات بالجملة، ووضع سياسي مرتبط بالإرادة التركية بالمطلق، لدرجة أنه لم يصدر عن الائتلاف أي بيان استنكار لتسليم قوات سوريا الديمقراطية لقرى محيط منبج لقوات النظام، في محاكاة لموقف رئيس الوزراء التركي الذي صرّح بأن "الأرض للسوريين" في نهاية الأمر.

دخل وفد المعارضة المفاوضات دون استراتيجية واضحة وبشكل مختلف جداً عن أول مرة شارك فيها في مفاوضات جنيف عام 2014، حين كانت قوات المعارضة تسيطر على مساحة واسعة من الأراضي السورية والنظام ينهار في كل منطقة مواجهة والمعارضون يمتلكون استراتيجية واضحة بنوها ليس على التفاوض من أجل حل سلمي، بل على كشف عدم رغبة النظام في الحل السياسي.

معارضو جنيف اليوم لا يملكون أي استراتيجية، وبدا دخول منصات جديدة على الخط في فترة قريبة من المؤتمر دليلاً واضحاً على عدم وجود خطة يتبعونها في التفاوض، إذ تختلف معايير وأسقف معارضاتهم للنظام.

استراتيجية النظام لم تتغير منذ اليوم الأول للتفاوض في جنيف 1، فهو لم يعتد يوماً على ممارسة السياسة على المستوى الوطني، فقد كان عاجزاً عن طرح أية تسوية مع الشعب السوري انطلاقاً من لحظة استيلائه على السلطة في 1970 مروراً بأحداث الثمانينات وليس انتهاء بصلف وتفاهة بشار الجعفري الذي يصر على مكافحة الإرهاب في الوقت الذي يهجّر فيه نظام الأسد سكان وادي بردى ويقتل فقط خلال شهر شباط الذي جرى فيه المؤتمر ما يزيد عن 2500 ضحية.

جاءت الورقة التي وضعها ديمستورا من 12 نقطة عمومية يمكن للطرفين الاتفاق عليها لما فيها من اتساع في التفسير. وأصرت الورقة من خلال بنودها كما أصر المبعوث الدولي على أولوية طرح عملية الانتقال السياسي، ولم يذكر موضوع محاربة الإرهاب سوى في بند واحد محدداً النصرة وداعش على أنهما الجماعات الإرهابية حسب المعيار الدولي هذه المرّة، وليس المعيار السوري-الروسي.

الإرهاب نقطة يطرحها النظام منذ اليوم الأول على مسار التفاوض بينما ترفض مناقشتها المعارضة التي تطلب إعطاء الأولوية لبند الانتقال السياسي. ولكن لماذا خلال الأربع "جنيفات" لم تطالب المعارضة بتوضيح لمعنى الإرهاب ومعاييره ومحدداته في سوريا إلى اليوم بغية وضع النظام أمام جرائمه، بعيداً عن التصريحات الصحفية حول قصف المدنيين وارتكاب المجازر التي لا تؤطر أو تعرف الإرهابي بسلوكيات معينة؟

من ناحية أخرى تشهد المنطقة الشمالية تطوراً دراماتيكياً بالاقتتال الكردي-الكردي الذي هدم مشروع موسكو بعد أن عقدت مؤتمراً في منتصف شباط الماضي جمع ممثلين عن كرد الدول الأربع (سوريا، إيران، العراق وتركيا)، ومن ثم كان تطور آخر بتسليم القرى الكردية منبج للنظام. كان ذلك بعد إحساس وفد الهيئة العليا المدعوم من تركيا بامتلاكها ورقة قوة نتيجة اقتراب الجيش الحر من منبج وعلى رأسهم لواء "السلطان مراد" العضو الأصيل في التفاوض.

أضعف جنيف بل أفرغه من أي معنى عدم اهتمام الولايات المتحدة به، فجاء هزيلاً برسالة واضحة للروس حول مقدار فاعليتهم، حيث تم ترحيل عملية وقف إطلاق النار وموضوع الإرهاب فقط إلى الآستانة، بينما سيطرح جنيف 5 باقي نقاط ديمستورا المتعلقة بالانتقال السياسي، وتحويل مؤتمر الأستانة بذلك لمؤتمر خاص بالأطراف المتقاتلة على الأرض على اعتبار روسيا أحدهم وليست راعياً للجميع.

التزم حلفاء الولايات المتحدة بموقفها، فالاتحاد الأوروبي لم يقم بأكثر من زيارة وفد المعارضة والنقاش معه حول بعض نقاط الانتقال السياسي، بينما ابتعدت دول الخليج وعلى رأسها السعودية عن المؤتمر تماماً وسحبت حلفاءها على الأرض كجيش الإسلام الأكثر ثقلاً بينهم، وخفضت تمثيل الحلفاء السياسيين، مثل رياض حجاب وغيره.

انتهى إذن المؤتمر كأنه لم يبدأ، وسلّة جنيف التي يحملها ديمستورا في يده هي نفسها تلك التي كانت تطرح منذ جنيف كوفي عنان ومن بعده الأخضر الابراهيمي سلفاً للمبعوث السويدي، في حين ما زال النظام يلعب على عامل الوقت الذي بدأت نتائجه أكثر ظهوراً بعد دخول الروس في المعادلة الميدانية.

يحسب للوفد المعارض رغم الخمسين شخصاً والمنصات المتعددة والمتحدثين الكثر، تمكنه من أن يخرج هادئاً وقابلاً بالنقاط التي لا ضير في قبولها ورفضه للنقاط الباقية، دون أن تحصل أمام الكاميرات تشنجات أو إهانات تأكل من رصيده إعلامياً، إلا في قضية تفجير الفرع الأمني في حمص الذي اتهم فيها النظام قبل أن تعلن جبهة النصرة بوقت قصير المسؤولية عنه، ما سبب حرجاً للوفد المعارض وأتاح للنظام فرصة النيل من مصداقيته.

ربما ساعد وفد المعارضة على عدم الاختلاف أن جنيف 4 لم يكن فيها مفاوضات فعلية، بقدر ما كانت -بعموميات مخرجاتها- عبارة عن مراسم دولية تهدف بالدرجة الأولى إلى تفريغ الآستانة من أي معنى، في رسالة واضحة للروس والأتراك تحدد حجم دورهم.

رعد أطلي.

الباب.. من أولى صرخات الثورة في حلب وآخر فصول "درع الفرات"

مدخل مدينة الباب - طريق حلب الباب القديم شباط ٢٠١٧ - تصوير: عبدو الخضر

صحيح أن مدينة الباب (38 كم شرق حلب)، لم تكن الأولى التي سيطر عليها الجيش الحر في حلب، ولكنها كانت أول مدينة انتفض أهلها على "نظام البعث" الحاكم الذي يقوده "آل الأسد" في سوريا، بعد مدينة درعا (مهد الثورة السورية التي اندلعت منتصف آذار عام 2011)، إذ كان للمدينة قصب السبق في اللحاق بركب الثورة السلمية، بعد أن فتحت كل أبوابها لها، قبل أن تدخل "الصراع المسلّح" فيما بعد، وتخضع لمدة نصف سنوات الثورة الست تحت سيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية"، وينتهي بها المطاف تحت راية الجيش الحر، الذي أحكم سيطرته عليها مرة ثانية، ضمن عملية "درع الفرات" التي أطلقتها تركيا، وسط احتمالات توحي بأن مدينة الباب ربما تكون آخر فصول تلك "العملية".

في الـ 18 من شهر تموز عام 2012، خرجت مدينة الباب بشكل كامل عن سيطرة قوات النظام، بعد معارك "عنيفة" استمرت لعدة أيام، مع فصائل من الجيش الحر (كان جلّ مقاتلي تلك الفصائل من أهل المدينة، إضافةً لمقاتلين من ريف حلب الشمالي)، وانتهت بسيطرة "الحر" على معظم أحياء المدينة ومرافقها، ومربعها الأمني، ليتمركز عناصر النظام في مدرسة "الزراعة" الواقعة على المدخل الجنوبي الغربي للمدينة، والتي حولها النظام إلى ثكنة عسكرية، وباتت آخر نقطة له، قبل أن ينسحب عناصره منها على خلفيه شائعات انتشرت في أوساط الباب، تفيد بأن رأس النظام "بشار الأسد" تنحى عن الحكم، عقب تفجير "خلية الأزمة" (مبنى الأمن القومي) الذي أودى بكبار ضباط النظام ورموزه.

مدينة الباب (مسقط رأس العماد حكمت الشهابي، رئيس أركان النظام السابق) وبه باتت تُعرف بـ"القرداحة الثالثة" بعد مدينة درعا (خزّان حزب البعث وعاصمته)، ومدينة الرستن بريف حمص (مسقط رأس وزير الدفاع السابق، مصطفى طلاس)، بقيت طيلة عامين ونصف، تحت سيطرة الجيش الحر،

يرفرف علم الثورة السورية فوق كل مرافقها، وشكّلت خلال هذه المدة، عبر أهلها ومجالسها المحلية والمدينة والثورية، نموذجاً جديراً بالاطلاع لما آل إليه الوضع فيها، قبل أن تخرج كلياً من يد فصائل "الحر"، ويقبض عليها تنظيم "الدولة الإسلامية"، ويُحكم سيطرته عليها بمفرده، لا منازع له فيها، ويطوي صفحة ثورتها لمدة ثلاث سنوات كاملة.

الباب تحت سيطرة تنظيم "الدولة"

في الـ 13 من شهر كانون الثاني عام 2014، خرجت مدينة الباب من قبضة الجيش الحر، وتمكّن تنظيم "الدولة الإسلامية" من انتزاعها كلياً، خلال معركة استمرت لمدة خمسة أيام، بدأت تفاصيلها، عندما انتفض أهل المدينة في مظاهرة هتفوا خلالها "الباب حرة حرة، داعش تطلع برا"، تضامناً مع "جيش المجاهدين" الذي تشكّل مطلع الشهر ذاته من كبرى الفصائل في حلب وريفها، وتمكّن خلال عدة أيام من دحر "التنظيم" من مدينة حلب وكامل ريفها الغربي.

ولكن تخاذل الكثير من فصائل الجيش الحر والكتائب الإسلامية، مع بعض ضعاف النفوس من مقاتلي المدينة وأبنائها، أتاح لرتل "عمر الشيشاني" (القائد العسكري لتنظيم "الدولة" حينها)، القادم من محافظة دير الزور مروراً بالرقة، ومطار "الجرّاح (كشيش)" العسكري قرب بلدة مسكنة شرق حلب، الذي كانت تسيطر عليها "حركة أحرار الشام الإسلامية" (ووقعت مع "الشيشاني" اتفاقاً "مريباً" يسمح له بالمرور إلى الباب!)، كل ذلك أتاح للرتل الضخم الوصول إلى مدينة الباب وتطويقها من الجهات كافة، لتصبح في قبضته بعد خمسة أيام من المقاومة التي لم تُجدِ نفعاً أمام قلة المقاتلين في المدينة، وضخامة الرتل العسكري المدجج بالدبابات وكافة الأسلحة الثقيلة.

بعد أن أحكم تنظيم "الدولة" سيطرته على كامل مدينة الباب، بمعركة خلّفت أربعين "شهيداً" وعشرات الجرحى في صفوف المقاتلين والمدنيين، قام بحرق معظم بيوت مقاتلي الجيش الحر، ونفذ العديد من الإعدامات الميدانية، وشنّ حملة اعتقالات واسعة طالت عشرات الشبان والرجال وحتى كبار السن، وقتل الكثير منهم بتهمة "الردة" والانتماء للجيش الحر، وفرض سطوته لمدة ثلاث سنوات كاملة، ذاقت خلالها المدينة الكثير من الويلات، ما عدا القصف الجوي الذي تعرضت له من قبل "التحالف الدولي" بذريعة وجود "التنظيم"، والذي أدى إلى دمار كبير في المدينة، وأسفر عن وقوع مئات الضحايا في صفوف المدنيين، قبل أن تدخل الباب ضمن مراحل عملية "درع الفرات" المدعومة من قبل تركيا، وتسعى إلى انتزاعها من "التنظيم".

"درع الفرات" والسيطرة على مدينة الباب

بعد أسبوعين من سيطرة "قوات سوريا الديمقراطية" (التي تشكّل "الوحدات الكردية" عمودها الفقري) على كامل مدينة منبج في ريف حلب الشرقي، بمعارك مع تنظيم "الدولة"، وسعيها للتمدد شرقاً في مناطق "التنظيم"، بهدف الوصول إلى مدينة عفرين شمال غرب حلب، وربط مناطق سيطرتها شرقاً وغرباً ببعضها، أطلقت تركيا في الـ 24 من شهر آب عام 2016، عملية عسكرية حملت اسم "درع الفرات"، وهي أول تدخل عسكري تركي مباشر في الأراضي السورية، دعم خلاله فصائل الجيش الحر للسيطرة على معظم مناطق ريفي حلب الشمالي والشرقي من تنظيم "الدولة" وخاصة الحدودية مع أراضيها، وقطع الطريق أمام "الوحدات الكردية"، التي تسعى لوصل مناطق سيطرتها تمهيداً لـ إقامة "إقليم كردي" مستقل.

دوار الكتّاب في مدينة الباب شباط ٢٠١٧ - تصوير: عبدو الخضر

وتشكّل المساحة التي تهدف عملية "درع الفرات" للسيطرة عليها، ما يعرف بـ "المنطقة الآمنة" التي دعت تركيا مراراً إلى إقامتها، في ظل اعتراض أميركي مستمر، إلّا أنها تمكّنت عقب هذه العملية من فرض "المنطقة" واقعاً، وفق المساحة التي سيطرت عليها خلال ستة أشهر، وتمكّنت فصائل الجيش الحر مدعومةً بقوات تركية، خلال اليوم الأول للعملية، من السيطرة على كامل مدينة جرابلس الحدودية شمال شرق حلب، واستمرت في توسيع رقعة سيطرتها جنوبي وغربي المدينة، حتى بسطت سيطرتها على كامل الشريط الحدودي الممتد من جرابلس إلى مدينة اعزاز في الريف الشمالي.

عند مشارف مدينة "منبج" التي سبق وسيطرت عليها "قوات سوريا الديمقراطية"، توقفت فصائل عملية "درع الفرات"، وتوجّهت نحو مدينة الباب (أبرز معاقل تنظيم "الدولة" في حلب)، لتبدأ في محيط المدينة "أعنف" معارك الجيشين "الحر" والتركي في مواجهة تنظيم "الدولة" الذي أبدى "استماتة" في الحفاظ على الباب التي حوّلها محيطها إلى حقول من "الألغام المتفجرة"، حيث شكّلت تلك الألغام عائقاً كبيراً أمام تقدم الفصائل، كما أودت بحياة الكثيرين من مقاتليها، فضلاً عن عشرات المدنيين الذين حاولوا الهروب من المدينة ليلاً، إلى مناطق سيطرة الفصائل.

قرابة المئة يوم من المعارك "العنيفة" في محيط مدينة الباب، أدت لاعتقاد كثيرين بأن الجيش الحر لن يتمكن من فك عقدة "التنظيم" في المدينة تمكّنه من السيطرة عليها، ما دفع تركيا بزج مئات الجنود من قواتها مدعومين بعشرات الدبابات والمدرعات، وكاسحات الألغام، خسرت منهم أكثر من 40 جندياً، بينهم أسيران قتلا "حرقاً" في إصدار مرئي بثه تنظيم "الدولة" حينها، ما زاد من حنق الحكومة التركية، ودفعت بالفصائل للعمل العسكري "ليلاً، نهاراً" لإنهاء الفصل الأخير من السيطرة على المدينة.

في صباح الـ 23 من شهر شباط الفائت، أعلنت فصائل "درع الفرات" سيطرتها بشكل كامل على مدينة الباب، بعد تمكنها من فرض حصار كامل عليها من كل الجهات، رغم محاولات قوات "نظام الأسد" -وإن كانت متأخرة- الدخول إلى خط سباق السيطرة على المدينة، والتي تمكنت من تحقيق تقدم سريع باتجاه الباب أدى إلى سيطرتها على بلدة "تادف" الملاصقة للمدينة، إلّا أن الفصائل سبقتها بالسيطرة على الباب، ليتحول "النظام" بقواته، باتجاه الشمال الشرقي للمدينة، ويصل مناطق سيطرته، بمناطق سيطرت "قوات سوريا الديمقراطية" جنوب غربي مدينة منبج، ويقطع الطريق عليها باتجاه مدينة الرقة (أكبر معاقل تنظيم "الدولة" في سوريا)، وهي الخطوة الثالثة لعملية "درع الفرات" بعد منبج، التي طالما صرّح بها المسؤولون الأتراك، على رأسهم الرئيس التركي "رجب طيب أردوغان"، في حين تشير الأحداث المستجدة في المنطقة، وخاصة عقب توجه القوات الأميركية إلى منبج، أن الباب ستكون آخر فصل من فصول عملية "درع الفرات".

أخيراً، نعم سيطرت فصائل "درع الفرات" على كامل مدينة الباب، إلّا أن المدينة لم تبدو كغيرها من المناطق التي انتزعتها الفصائل بدعم تركي، من قبضة تنظيم "الدولة"، كـ جرابلس والراعي وحتى "دابق" (ملحمة تنظيم "الدولة" الكبرى، ومعركة آخر الزمان)، حيث اختلف الأمر في الباب كثيراً، ولم يخرج "التنظيم" منها، إلّا بعد تحويلها لكتلةٍ من الدمار والركام، وحقلٍ كبير من الألغام، فضلاً عن منازل "مفخخة"، يحاول أهلها العائدون إليها بعد سنواتِ غياب، رغم كل العوائق والصعوبات، بثَّ الحياة فيها من جديد.

سعيد غزول.

عودة الأهالي لمدينة الباب شباط ٢٠١٧ - تصوير:عبدو الخضر

فتيات الريف الشرقي يعُدن إلى المدارس

مدرسة العجيل في الريف الشرقي شباط ٢٠١٧.

عادت مدارس الفتيات إلى افتتاح أبوابها بعد انسحاب تنظيم "داعش" من عدد من قرى الريف الشرقي لمدينة حلب. إلا أن رجوع الطالبات إلى مقاعد الدراسة صاحبه ارتباك سببه طول انقطاعهنّ عن التعليم لفترة تقارب الثلاث سنوات.

فايز الحسن، وهو مدرس لطلاب المرحلة الابتدائية في قرية العجيل في الريف الشرقي، لا يخفي شعوره بالفرح عند رؤيته للفتيات الذاهبات إلى المدرسة يحملن كتبهن. "هو أكثر تلك المشاهد التي أثرت في نفسي" يقول.

وكانت قوات درع الفرات المدعومة من تركيا قد نجحت في انتزاع السيطرة على مدينة الباب أحد معاقل التنظيم ومعظم قرى الريف الشرقي في الأسبوع الأخير من شباط/فبراير الماضي.

يروي المدرسون في تلك المناطق كيف انحسر التعليم منذ بداية العام 2015 خصوصاً بين الفتيات، فاقتصر على محاولات فردية للتدريس في البيوت. ففتح مدرسون ومدرسات منازلهم سراً لهذه المهمة وسط تعاظم الخوف من انكشاف أمرهم ما قد يؤدي إلى عقوبة تتدرج بين الجلد واتباع الدورات الشرعية وصولاً إلى السجن.

كوثر عبد الباسط، مدرّسة من قرية بالقرب من ناحية العريمة قررت آنذاك مع بعض المدرسات العمل سراً وجمع الفتيات وتعليمهن المبادئ الأساسية للقراءة والكتابة والحساب في بيت أحد الأقارب. "كان الاجتماع يتم كل مرة في بيت مختلف حتى لا يكتشف التنظيم ذلك". وتضيف: "مع ذلك لم يكتب لمهمتنا النجاح، فالتنظيم قام بتجنيد نساء من أهل القرية ليحضرن الدروس معنا، ما دفعنا لإيقاف هذه التجمعات الدراسية".

ومع تحرير بعض القرى في الريف الشرقي عادت المدارس للعمل ومنها مدرسة العجيل التي فتحت أبوابها من جديد أمام الطلاب والطالبات. وعن الصعوبات التي تعاني منها هذه المدارس قال أحمد رمضان، مدرس في العجيل إن نسبة الأمية ازدادت كثيراً في الآونة الأخيرة ووصلت إلى 99% بين النساء في المناطق التي كانت خاضعة لتنظيم الدولة. "نحن اليوم نقف شبه عاجزين أمام أطفال بعمر 11 أو 12 سنة لا يجيدون القراءة والكتابة".

مدرسة العجيل في الريف الشرقي شباط ٢٠١٧.

يكمل رمضان: "بإمكانك أن ترى في صف واحد أطفالاً من مختلف الأعمار يتعلمون تهجئة الأحرف، الأمر الذي منع الكثير من الأهالي من إرسال بناتهم إلى المدرسة نظراً لعمرهم الكبير على حد قولهم".

شهدت هذه المناطق في السنوات الأخيرة قبل تنظيم الدولة توجهاً كبيراً نحو تعليم النساء وكانت نسبة التعليم بين الإناث تفوق نسبتها بين الذكور بحسب جاسم المحمد عضو المجمع التربوي في مدينة الباب سابقا حيث قال "معظم الشباب كانوا يتركون القرية للبحث عن عمل سواء في المدن الرئيسية كحلب ودمشق مع تراجع الزراعة أو في لبنان، أما الفتيات فكن يذهبن إلى المدارس ويكملن دراستهن وبنسبة كبيرة" يؤكد رمضان.

النقص الحاد في الكوادر العلمية المؤهلة من المدرسين في مختلف المجالات أهم المشكلات التي تعيق إعادة افتتاح هذه المدارس، فمعظم الكوادر كانت قد غادرت البلاد وتوجهت إلى تركيا أو إلى أوروبا هرباً من الحرب الدائرة بالإضافة إلى انتظام بعضهم في صفوف تنظيم الدولة أو تنظيمات أخرى، وتوجه بعضهم إلى مناطق سيطرة النظام.

وعن مواجهة النقص الحاد يقول حمد عبد الجواد، أحد مدراء المدارس في الريف الشرقي "نقوم بترغيب المدرسين الموجودين بالعمل في المدارس بإعطائهم رواتب تصل إلى خمسين ألف ليرة سورية (حوالي 100 دولار) كما قمنا باستقطاب حملة الشهادة الثانوية للتعليم في هذه المدارس".

ويقوم المجلس المحلي في مدينة جرابلس بدفع الرواتب للمعلمين منذ تحرير مدينة جرابلس وإعادة افتتاح بعض المدارس التي تجاوزت 12 مدرسة في مختلف قرى الريف الشرقي بحسب المدير عبد الجواد

وعن المناهج التي يقوم المعلمون بتدريسها يقول الأستاذ فايز أنه لا توجد مناهج ولا كتب ويقوم المعلمون كل ضمن اختصاصه بتدريس المناهج التي يحضرها وحصلنا على وعود من المجلس المحلي في مدينة جرابلس بتأمين الكتب للطلاب

أما عن الامتحانات فيكمل المدرس أنه لم تجري إلى الآن أي امتحانات و" من المقرر ان تتم في 15/3/2017 اعتماداً على المعلومات التي قمنا بتدريسها وننتظر آلية واضحة لهذه الامتحانات من مديرية التربية الحرة"

الحاج أبو أحمد أحد سكان قرية العجيل يقول أن إعادة فتح المدرسة كان أمراً مفرحاً لأهالي القرية، ولكن ظروف الحرب أبعدت ابنته "ليال" طالبة المرحلة الإعدادية عن التعليم. "لقد مضى وقت طويل تركت فيه المدرسة ولم يعد باستطاعتها تذكر الكثير من المعلومات التي فقدتها". وأضاف أبو أحمد أن هناك نقص في الكتب والمناهج وأن المدرسين يقومون بإعطائهم الأساسيات في التعليم دون كتب.

مصطفى أبوشمس.

"مجزرة السرايا" في مدينة الباب.. ضحايا "منسيّون"

الصورة لما تبقى من سجن السرايا شباط ٢٠١٧ - المصدر: صفحة المكتب الإعلامي لمدينة الباب على الفيس بوك.

تحرير أي بقعة ما من يد قوات النظام أو تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش) يغدو أمراً مفرحاً لأهلها النازحين منها "قسراً" والباقيين فيها "قهراً"، إلّا أن هذه الفرحة يخفت بريقها عندما يبدأ الأهالي بالتجول في حواري منطقتهم وشوارعها، يُقلِّبون خلال ذلك صفحات الذاكرة المليئة بالمآسي والحسرات المكبوتة خوفاً من بطش "المغتصب"، وهذا ينطبق على أهالي مدينة الباب المحررة للمرة الثانية خلال السنوات الست من عمر الثورة السورية.

في الـ 18 من شهر تموز 2012، كان التحرير الأول لمدينة الباب (38 كم شرقي حلب)، والتي كان لها قصب السبق في اللحاق بركب الثورة السورية، كأول مدينة في ريف حلب تتظاهر ضد "نظام الأسد" بعد مدينة درعا، حيث تمكنت فصائل الجيش الحر من السيطرة على كامل المدينة بعد معارك مع "قوات النظام" استمرت لعدة أيام، قبل أن يَطوي تنظيم "داعش" بعد عامين على تحريرها، صفحة ثورتها، ويسكب "السواد" على ألوانِ حريتها، لتصبح فيما بعد، أكبر وأبرز معاقله في حلب.

سيطرة "داعش" على مدينة الباب، استمرت ثلاث سنوات كاملة، وأيام قليلة من السنة الرابعة، ذاقت خلالها المدينة الكثير من الويلات، بين إعدامات بحق أبنائها، واعتقال آخرين، والاستيلاء على منازل من خرجوا منها "مكرهين".

وأعقب ذلك القصف الجوي لـ "التحالف الدولي" الذي تذرّع بوجود تنظيم "داعش" في المدينة، ما أسفر عن وقوع مئات الضحايا في صفوف المدنيين، قبل أن تُحدث "غارة" واحدة للتحالف، "مجزرة" أودت بحياة العديد من معتقلي "داعش"، تكتم عنها الأخير، لتغيب عن الإعلام -ما عدا التقرير الصادر عن "الشبكة السورية لحقوق الإنسان" ومحاولاتها التأكد من أعداد ضحايا المجزرة-، فيما بقيت "كابوساً" في أذهان الأهالي الرازحين تحت سطوة "التنظيم" وبطشه.

تفاصيل "مجزرة السرايا"

بعد سيطرة فصائل عملية "درع الفرات" المدعومة من قبل تركيا، في الـ 23 من شهر شباط الفائت، على كامل مدينة الباب، وطرد تنظيم "داعش" منها، تطفو مجدداً أحداث "مجزرة السرايا" (أحد سجون التنظيم في المدينة) التي ارتكبتها طائرات التحالف الدولي قبل أكثر من عام، وأودت بحياة عشرات "السجناء" معظمهم مدنيون، ليتحدث الأهالي عن تفاصيلها التي غيّبها إعلام "داعش" عمداً، ومنع الأهالي من معرفة مصير ضحاياها.

السرايا، "دار الحكومة" في مدينة الباب، أو "السراي" اسمها العثماني القديم الذي ما زال متداولاً حتى الآن، يعود بناؤها إلى العام 1930 في عهد رئيس الجمهورية السورية "تاج الدين الحسيني" لتكون قصراً "للحكومة"، وفي عهد النظام بقيت داراً للحكومة، وضمت "مديرية منطقة الباب، ودائرة أحوال السجل المدني، وقسم الأمن الجنائي"، قبل أن يسيطر تنظيم "داعش" على المدينة، ويحولها إلى "سجن" يزج به كل مخالفيه.

كانت "السرايا" قبل تنظيم "داعش"، صرحاً تاريخياً صمد حتى أمام الاحتلال الفرنسي، لكنه "هَوَىَ" بغارةٍ للتحالف الدولي، سوّته بالأرض، بعد أن اتخذه التنظيم "سجناً" له، لتجعل الغارة منه "قبراً واحداً" ضم نحو 200 سجين معظمهم مدنيون من سكان المدينة والبلدات والقرى المجاورة، سجنوا بتهمٍ أقل ما يقال عنها أنها "تافهة"، بحسب ما أفاد ناشط من أبناء مدينة الباب، يدعى "نسيم الشمالي".

عن تفاصيل المجزرة يروي "الشمالي"، أنه في الساعة الثامنة والنصف من مساء يوم الثلاثاء بتاريخ 28-12-2014، والذي أطلق عليه سكان مدينة الباب "اليوم الأسود"، نفذت طائرات "التحالف الدولي"، غارة على أحد مواقع تنظيم "داعش" في المدينة، ولكنها اختارت "الموقع الخطأ"، اختارت "سجناً" يأوي عشرات المدنيين على الدوام وخاصة من السكان المحليين أصحاب "الجنح البسيطة"، وبضعة عناصر من "التنظيم" لا يتجاوز عددهم 13 عنصراً "حرّاس السجن"، معظمهم من "الأنصار" (المنضمون إلى "داعش" من أبناء المنطقة).

ويتابع "الشمالي"، بعد الغارة بقليل والتي جعلت من مبنى "السرايا" قاعاً صفصفاً فوق نزلائه من السجناء المدنيين، هرول الأهالي "مذعورين" من هول الخبر، قبل هول الصوت القوي الذي هزّ صداه أرجاء المدينة، يتراكضون "سكارى وما هم بسكارى" لعل خبراً جميلاً يقول لهم، إن أبناءكم ما زالوا في السجن على قيد الحياة، يعانون ذل التهم "التافهة"، من الذين ارتكبوا أفظع الجرائم في العالم، ولكن سخرية القدر جعلت منهم "سجّانين" لا "مسجونين".

من جانبه، يروي أحد رجال المدينة والحرقة تأكل قلبه والدمعة لا تفارق مقلتيه، "ذهبنا لنرى ما الأمر بعد الأخبار التي انتشرت كانتشار النار في الهشيم، أن مبنى السرايا ضربته غارة للتحالف، صعقني الخبر، خاصة أن ابني "سجين" هناك بتهمة "حلاقة الذقن"، كما صعق آخرين غيري من أقرباء "المسجونين" بتهم بسيطة تنوعت بين "التدخين، والحلاقة، ولبس الجينز، والتأخر عن الصلاة"، إضافةً لتهمة "الردة" لمن كانوا سابقاً ينتمون للجيش الحر، إلّا أن تنظيم "داعش"، واجه الجميع بالرصاص الذي رشقه في الهواء، وفرض حظر تجوال في المنطقة".

المبنى يمين الصورة لسجن المحكمة الشرعية شباط ٢٠١٧ - تصوير: عبدو الخضر.

بينما قال آخر، إن "الخوف الذي ملأ قلوب أهالي الباب من عواقب معاداة "داعش"، الذي يصل إلى حدِّ "فصل الرأس عن الجسد"، دفع الجميع للتراجع، جارين خلفهم المزيد من ذيول الذل والخضوع، وانعدام الحول والقوة، وهم يتساءلون، كيف يمكن لتنظيم، غير قادرٍ حتى على حماية "معتقليه"، أن يدّعي أنه "دولة وخلافة"، ويفرضها على جميع المناطق التي يسيطر عليها، فأين أمان "الدولة"؟ وأين حقوق رعاياها عليها؟.

الجدير بالذكر، أن "سجن السرايا" لم يكن السجن الوحيد لتنظيم "داعش" في مدينة الباب، بل كانت المدينة تحوي أحد أكبر سجونه "سجن المحكمة الشرعية" (مبنى المجمّع القضائي سابقاً)، إضافةً لـ "سجن الثانوية الشرعية" المجاور، لكن فصائل "درع الفرات" وعقب سيطرتها على كامل المدينة، لم تعثر على أي سجين، وسط أنباء من قبل الأهالي، تفيد بأن "التنظيم" نقل جميع السجناء إلى مناطق سيطرته في بلدات دير حافر ومسكنة بريف حلب الشرقي، وآخرين إلى الرقة، كما أنهم عثروا على سجون "سرية" في أقبيةٍ تحت منازل قياديي "التنظيم" في المدينة، ليغدو مصير مئات السجناء والمعتقلين في سجون "داعش" والمختطفين من قبله، مجهولاً.

أخيراً، أهمية إثارة هذا الموضوع مجدداً، ليس للتذكير بمأساة مدينة الباب خلال حكم "داعش"، والوقوف على حماقات الأخير الذي لم يتمكن من حمايةٍ حتى "معتقليه"، فحسب، بل لتسليط الضوء مرة أخرى، على التجاوزات الكبيرة للتحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية، الذي ارتكبت طائراته عشرات المجازر بحق المدنيين في مناطق سيطرة تنظيم "الدولة"، بذريعة محاربة الأخير، وإعادة فتح ملفها "مجدداً"، ومطالبتها بتعويض أسر الشهداء عن طريق مقاضاتها قانونياً، خاصةً بعد إقرارها بقصف مبنى "السرايا" عقب صدور تقرير "الشبكة السورية لحقوق الإنسان"، رغم إنكارها أن المبنى كان "سجناً" وبداخله سجناء، وإلّا ستُطوى صفحة "المجزرة" مرة أخرى، كما طُويت صفحات عشرات المجازر غيرها.

سعيد غزول.

حمام دمشقي وقدود حلبية: تراث يرافق السوريين إلى مصر

الصورة للحمام الدمشقي في مصر آذار ٢٠١٧ - تصوير: فادي سعد.

"الحمام الدمشقي" مشروع سوري أصابه التوقف والتأجيل لأكثر من مرة بسبب رغبة أصحابه في جعله نسخة مطابقة من "حمام السوق" في سوريا وصعوبة تحقيق ذلك في مصر.

في مدينة 6 أكتوبر أو ما تطلق عليها الجالية السورية "دمشق الصغرى" لكثرة السكان السوريين بها وتنوع أنشطتهم التجارية والصناعية، يحتل الحمام الدمشقي الطابق الأرضي لأحد الأبنية بمساحة 700 متر مربع.

لم يكن لـ "محمد عبد القادر" و"أسامة زيدان" العثور على هكذا مساحة بسهولة، خاصة إنهم بحاجة الى تقسيم داخلي يشابه أقسام حمامات السوق التراثية المتواجدة في سوريا، وهي ثلاثة أقسام متعارف عليها بالـ "الجواني" الوسطاني و"البراني".

في "الجواني"

ما أن تدخل باب الحمام حتى ترى لوحة جدارية لسوق دمشقي قديم ويحيط بها زخرفات خشبية تعيدك بالذاكرة إلى عاصمة الأمويين منذ قرون خلت.

يأخذك زيدان في جولة على أقسام الحمام. هنا قسم الجواني حيث بانتظارك غرفة "الساونا" وبخار الماء للتخلص من سموم الجسم بالتعرق وفتح مسام الجلد يليها التفريك والاستحمام، ثم التمدد على مصطبة خشبية ليغمرك "المكيّس" بالـ "فوم" وهي مادة رغوية تعطي رائحة زكية للجسم.

يشرح زيدان الخدمات التي يقدمها الحمّام مبتهجاً، فيقول "يمكن للزبون أن يطلب حمّاماً مغربياً فيضاف لما سبق دهن الجسم بمادة طينية لإزالة الجلد الميت وتنعيم البشرة".

يلي ذلك غرفة "المغاطس" وهي حجرة تحوي مغطس ماءٍ ساخنٍ بمضخات مائية مركزة على الجسم تقوم بوظيفة التدليك لإزالة التشنجات العضلية، ثم ينتقل الزبون الى المغطس البارد لخفض درجة حرارة الجسم وإعادته الى حالة النشاط من جديد.

عملية معقّدة

"عملية تمديد المواسير الباردة والساخنة من نفس الجدار على المغطسين كانت عملية معقدة" يقول زيدان، ويشير إلى أن "الحمّام في الأصل كان منزلاً عادياً والمياه القادمة من الشركة لا تعطي الضخ الكافي، كما أن حجم المواسير ضخم ويحتاج لحفر أعمق داخل الجدار الذي لا يحتمل إلا مواسير منزلية".

"الشودير" وهو سخان المياه كان أيضاً مشكلة جديدة تواجه أصحاب المشروع إذ إن المتوفر في السوق المصرية كان إما سخانات صغيرة الحجم أو ضخمة جداً معدة لتسخين المياه في المصانع، يتابع زيدان، "فاضطررنا إلى شحن الشودير عن طريق أحد الأصدقاء في إيطاليا وأعدنا تركيبه في مصر".

تعود فكرة الحمامات العامة إلى عهد الأمويين وقد ورد ذكرها على لسان العديد من المؤرخين وبلغ عددها 60 حماماً كما أورد ابن عساكر في كتابه "تاريخ دمشق". وكان يشغل الحمام العديد من الموظفين بمهن مختلفة بعضها اختفى في عصرنا الحالي لتوفر بدائل معاصرة كـ "الزبّال" الذي يقوم بجمع فضلات الحيوانات من الأصطبل ويجففها ليقدمها لـ "القميمي" الذي يتولى مهمة إبقاء النار مشتعلة لتسخين الماء.

خدمات جديدة

عبر غرفة الوسطاني استحدث أصحاب المكان غرفة "المساج" التي تقدم التدليك والحجامة الاسلامية. يقول عبد القادر:"مع فترات العمل الطويلة ومشاكل الحياة وتعقيداتها أصبح المساج ضرورة وليس رفاهية. المساج بعد الحمام الساخن يساعد الجسم على الاسترخاء والشفاء من أي تشنجات عصبية أو عضلية".

وفي هذه الغرفة يغير الزبائن مناشفهم بأخرى جافة ويجلسون لعشر دقائق يتبادلون خلالها الأحاديث الجانبية لحين اعتدال حرارة أجسامهم أو انتظاراً لجلسة المساج.

قدود حلبية

يقدم الحمام إضافة إلى المشاريب الساخنة والباردة جميع الأكلات السورية وأكثرها طلباً هي "المجدرة" إلى جانب "لحم العجين" و"كباب الباذنجان". ويحيي الحمام حفلاً غنائياً يوم الخميس من كل أسبوع يحضره بعض أصحاب المعامل والتجار ومعظمهم من "الحلبيين" كما أضاف السيد " محمد".

في صالة "البراني" تجول عينيك عبر اللوحات والمشغولات الخشبية تاركاً لباقي حواسك فرصة التلذذ برائحة "ماء الورد" وصوت مياه البركة تتراقص على قدود "صباح فخري" .

وعلى البوابة الخارجية تقرأ "لم يكن الحمّامُ الدمشقيُّ مجرد مكانٍ للاغتسال، بل فسحةٌ تفنَّنَ أهلُ دمشقَ في تزيينِها وزخرفتِها"، لتكتفي بهز رأسك موافقا، فالدخول إلى هذا المكان بالنسبة للسوريين هو "فرصة لزيارة بلادك لبضع ساعات دون جواز سفر وتذكرة طائرة" كما يقول أصحاب المشروع.

فادي سعد.

في حارم الرصاص يحرم عريساً من فرحه

الصورة تعبيرية من الحدود السورية التركية ٢٠١٥ - تصوير: جلال المامو.

على الطرف المقابل من الحدود التركية في منطقة حارم التابعة لريف إدلب تجلس "أم العريس" في بيت أحد المهربين، وحيدةً هذه المرة بعد أن قتل ابنها "محمد" إثر إطلاق النار العشوائي عليه من قبل حرس الحدود التركية أثناء محاولته العبور إلى تركيا في بداية شهر شباط الفائت.

"أم محمد" قالت لمراسل فوكس حلب إن ولدها مع حماته وخطيبته وأخوتها الصغار (6 و 13سنة)، هربوا من مناطق سيطرة النظام وتوجهوا نحو مدينة إدلب للدخول إلى تركيا لإتمام مراسم الزفاف هناك. "زوجي ووالد خطيبة ابني يعيشون ويعملون في تركيا منذ سنتين وقد طلبوا منا القدوم لنقيم العرس في تركيا".

بعد رحلة صعبة استمرت ما يقارب الخمس ساعات على الحواجز وصلت أم العريس وابنها وعائلة خطيبته إلى منطقة "خربة الجوز" في مدينة إدلب. وفي محاولتين للوصول إلى تركيا لم يكتب لهما النجاح ألقت قوات "الجندرما" التركية القبض عليهم وأعادتهم إلى سوريا بعد أن قضوا مع أكثر من مئتي شخص آخرين ليلتهم في العراء في ظل ظروف مناخية قاسية ومن دون أغطية أو طعام. "الأطفال بللوا ثيابهم نتيجة البرد القارس والخوف"، وصفت أم العريس أيام الاحتجاز في تركيا.

توجهت الأسرتان بعد ذلك إلى مدينة حارم للعثور على نقطة تهريب جديدة. "كان علينا الدخول إلى تركيا بأي ثمن فلم يعد هناك سبيل آخر للعيش في حلب بعد أن هجر أبناء الأحياء الشرقية وليس باستطاعتنا العيش في المناطق الغربية ولا حتى دفع ايجار منزل هناك".

في حارم توجهت العائلة إلى بيت أحد المهربين بعد الاستدلال عليه وتم الاتفاق معه على مبلغ 400 دولار للشخص الواحد وأكد لهم المهرب أن الطريق آمن وأن هذا الطريق "بإذن"

وعند الاستفسار أجابهم المهرب "أن هذا الطريق يكون بإذن من الضابط التركي الموجود في الطرف المقابل داخل الحدود التركية حيث يقوم بإطفاء الأضواء الكاشفة وعندها تمر المجموعة وتدخل الأراضي التركية حيث يكون بانتظارهم حافلات تقلهم للمكان الذي يريدون الوصول إليه".

ثلاثة أيام أمضتها العائلة في بيت المهرب ريثما يتم استكمال المجموعة التي يجب أن تتألف من مئة شخص على الأقل "فكلفة الإذن مرتفعة" على حد قول المهرب.

جاءت الأوامر بالانطلاق نحو الحدود وهي عبارة عن حائط اسمنتي يفصل بين طرفي المنطقة عليها سلم يقوم الناس بالصعود عليه لينزلوا في الطرف المقابل ثم يمشون لخمس دقائق فيصلون إلى الحافلات التي من المفترض أن تكون بانتظارهم.

العريس محمد كان أول الذين تسلقوا السلم ونزلوا في الطرف المقابل ليقوم بمساعدة باقي العائلة في عملية الصعود والنزول تلك. "مرت دقائق وفوجئنا بإطلاق نار كثيف من جميع الاتجاهات" تقول أم العريس.

بعدها "رأيت ولدي على الأرض وقد أصيب بطلق ناري في صدره كان جثة لا تتحرك".

تروي الأم المكلومة أن معظم الناس تفرقت وهربت وبقيت هي إلى جانب ابنها الشاب تحاول إسعافه. "وصلت الجندرما وأخذت جثة ابني الذي فارق الحياة وأخذتني ايضاً".

وتتابع: "أخبروني أن محمد فارق الحياة وقاموا بوضعي مع الذين تم إلقاء القبض عليهم في إحدى المدارس وقاموا بالإساءة اللفظية لنا ببعض الكلمات العربية".

كان عدد المحتجزين بغرض الترحيل بحسب قول هذه السيدة 55 شخصاً، لم تجد بينهم خطيبة ولدها ولا عائلتها.

السيدة نجاة التي كانت في المجموعة ذاتها وتم ترحيلها إلى داخل الأراضي السورية حيث قامت إحدى المنظمات بتأمين مأوى لها ولأولادها في مخيم أطمه في مدينة إدلب قالت لمراسل فوكس حلب "كنية محمد الغريبة وقصة زواجه جعلت الجميع يذكره وكنا نتندر عليه خلال الأيام الثلاثة في بيت المهرب، لم يناديه أحد منا باسمه. كنا نناديه دائما بالعريس".

وأكملت " لقد رأيته وقد أصابه طلق ناري، هربنا كلنا، كان الرصاص في كل مكان، ولم يتح لنا الاطمئنان عليه، عرفت بعدها أنه فارق الحياة".

محمد أو "العريس" واحد من عشرات الشباب الذين فارقوا الحياة أثناء محاولتهم العبور إلى تركيا عن طريق التهريب، كان آخرهم الشاب عماد الذي حاول الدخول إلى الأراضي التركية عبر منطقة "إكده" القريبة من اعزاز في الريف الشمالي في الخامس من الشهر الحالي

وكان المرصد السوري لحقوق الانسان قد وثق 176 شهيداً من ضمنهم 31 طفلاً و16 مواطنة قتلوا على يد حرس الحدود التركي منذ بداية عام 2016 حتى شهر شباط من عام 2017 أثناء محاولتهم الدخول بطريقة غير شرعية إلى الأراضي التركية هرباً من الحرب والقصف والعمليات العسكرية الدائرة في مناطقهم وطمعاً في إيجاد مكان أكثر أمناً لأطفالهم.

علي العيسى أحد الذين حاولوا الدخول إلى تركيا أكثر من مرة ولم يحالفه الحظ بعد أن قبضت عليه قوات حرس الحدود التركية، حمّل المهربين المسؤولية في القتل الحاصل بالدرجة الأولى. وقال العيسى لفوكس حلب: "ليس هناك طرق آمنة في كل مرة يكذب علينا المهربون ويسرقون نقودنا".

وأضاف "المسالة مسألة حظ، إما أن تمر أو لا، أنت لست بحاجة إلى مهرب فقط تحتاج إلى سيارة لتصل إلى الحدود وبعدها تجرب حظك".

وبحسب عيسى "من المفترض أن يرافق المجموعة دليل من طرف المهرب ليدل الناس على الطريق، لكن ما إن نصل إلى داخل الحدود التركية حتى يغيب".

وفي تقرير أصدرته هيومن رايتس ووتش في الشهر العاشر من عام 2016 حمل جيري سيمبسون، باحث أول في قسم اللاجئين مسؤولية عمليات القتل إلى الحكومة التركية حيث قال : "رغم أن كبار المسؤولين الأتراك يزعمون أنهم يستقبلون اللاجئين السوريين بحدود وأذرع مفتوحة، إلا أن حرس الحدود يُمارسون القتل والضرب ضدهم".

ووصف سيمبسون هذا الأمر بـ"المروع" واصفاً تلك المجموعات التي يُطلق عليها النار بأنهم "رجال ونساء وأطفال مصدومين، فارين من القتال والحرب العشوائية".

مصطفى أبوشمس.

مدينة الباب معشوقة الموت الذي يرفض هجرها

دوار الدجاج في مدينة الباب شباط ٢٠١٧ - تصوير: عبدو الخضر

"في الحروب يكون الجميع خاسرا". هذه العبارة ورغم محاولتها التعبير عن مدى السوء الذي تحمله الحروب إلا أنها تساوي في الوقت نفسه بين الضحايا والجلادين، بل إنها تساوي أيضا بين الخاسرين بمجملهم، فتصير خسارة أحدهم لحياته أو عائلته كخسارة النظام الذي دمّر البيت فوق أهله لدبابة أو بندقية.

أربعمئة مدني قضوا وفق ما ذكرت تنسيقية مدينة الباب على صفحتها في فيسبوك، جراء القصف على المدينة، أو جراء انفجار الألغام التي زرعها تنظيم الدولة، خلال محاولات درع الفرات السيطرة على المدينة.

قبل وصول فصائل درع الفرات إلى أطراف مدينة الباب شرقي حلب، لم يكن ساكنوها بعيدين عن أسباب الموت في مدينتهم، حتى قبل أن تصلهم قذائف المدفعية أو الطائرات التركية.

تنظيم الدولة الذي استحل المدينة منذ سيطرته عليها في كانون الثاني عام 2014، فرض نفسه وصياً على أرواح أهلها، فبات يحيي من يشاء، ويعدم من يشاء، موزعاً التهم على محكوميه، من رجال ونساء، وكأن التنظيم كان يحاول ألا يسمح للموت بالخروج من المدينة.

وصول درع الفرات إلى أطراف الباب، لم يكن أقل مأساوية من بقاء التنظيم، فالموت لم يفارق المنطقة يوماً واحداً، وإن كان للعمليات العسكرية ما يبررها، إلا أن الأم الثكلى لن تنسى دم ابنها الذي قتله القذيفة، حتى وإن كانت أُطلقت بهدف تحرير المدينة.

في الفترة التي كانت تحاول فيها فصائل "درع الفرات" المدعومة تركياً السيطرة على مدينة الباب، كان القصف لا يهدأ على أحياء المدينة، فمدافع الفصائل تحاول إصابة مواقع التنظيم، وطائرات الجيش التركية تقصف مقراته في المدينة، وبين هذه القذيفة أو تلك، كان عشرات المدنيين يقتلون أو يجرحون يومياً، بما فيهم من أطفال ونساء، حيث يتم نقلهم إلى مشافٍ تابعة للتنظيم في مدينتي الطبقة والرقة.

هذا كان حال مدينة الباب في ريف حلب الشرقي قبل تحريرها، فمن لم يقطع تنظيم الدولة رأسه لسبب ما، لن يجد الموت صعوبة بالبحث عن وسيلة أخرى لقتله، أو إذا صح استخدام القول، فإنه في مدينة الباب "من لم يمت بالسيف مات بغيره".

مع اقتراب المعارك أكثر من مدينة الباب، وبدء سيطرة فصائل "درع الفرات" على نقاط عند أطراف المدينة، بدأ الأهالي بمحاولة النزوح منها هرباً من القصف والمعارك، ومع سيطرة الفصائل على جبل "عقيل" المطل على الباب، بات النزوح للمدنيين أحد خيارين، ثانيهما الموت.

في الحقيقة لم يكن الموت في يوم من الأيام خياراً ثانياً لأهالي مدينة مثل مدينة الباب، فالموت حاضر أينما يمم المدنيون وجههم، فمن الموت ينزحون إليه.

أكثر من مئة مدني قتلوا خلال أسبوع واحد في الفترة بين 21 حتى 28 من كانون الأول الماضي وفق إحصائية لتنسيقية الباب، أثناء محاولتهم الخروج من المدينة، جراء انفجار ألغام زرعها التنظيم على مداخل المدينة ومخارجها، فالموت إذا أحب مدينة ما، من الصعب أن يتركها.

الموت إذا أحب مدينة، يمسكها بأظافره، وكما يفعل العاشق حين يحاول أن يفاجئ حبيبته بما لا تتوقعه من هدايا، هكذا هو الموت، يفاجئ محبوبته دائما بهدايا لم تتوقعها أبداً.

أعلنت فصائل "درع الفرات"، سيطرتها الكاملة على مدينة الباب في 23 من شباط الماضي، مؤكدة طرد التنظيم منها، وذلك بعد 184 يوماً من انطلاق عملية "درع الفرات"، التي أدت للسيطرة على 1900 كم مربع، قرب الحدود السورية التركية.

خلال أشهُرٍ من المعارك، استطاع مئات الأهالي مغادرة المدينة إلى قرى قريبة، وبعد إعلان طرد التنظيم من الباب، قرر العشرات العودة إليها، إلا أن المؤسسة الأمنية التابعة لـ "درع الفرات"، ارتأت أنه وحفاظاً على أرواحهم من الألغام المنتشرة، فقد يكون من الأفضل جمعهم لتنظيم دخولهم، وحفاظا على أرواحهم، استطاع تنظيم "الدولة" إيصال سيارة مفخخة إلى مكان التجمع، ليؤدي الانفجار إلى مقتل 86 شخصا معظمهم من المدنيين، حارماً إياهم من رؤية مدينتهم بعد تحريرها.

مدينة الباب، مدينة سورية تقع شرق مدينة حلب بنحو 35 كيلومتراً، كانت تعد طوال ثلاث سنوات أبرز معاقل تنظيم الدولة في ريف حلب الشرقي، واليوم بعد أن طرد الأخير منها، مازال الموت الذي أحبها، يحلق أسراباً فوق رؤوس ساكنيها، يتحين أي فرصة للانقضاض على أرواحهم.

عبيدة نبواني.

"الأصالة" مشروع فني سوري في تركيا لصقل مواهب المبدعين الشباب

تنحصر توجهات مؤسسات ومنظمات المجتمع المدني داخل سوريا وخارجها في تلبية الحاجات الأكثر إلحاحاً التي يتطلبها المجتمع السوري، كالشأن الطبي والإغاثي وغيرهما، مغفلين ـ تبعاً للضرورة ـ الجانب الفني والثقافي الذي يساهم في إبراز مواهب الكثير من الشباب، وتحقيق تطلعاتهم.

ونتيجة تضافر عدة عوامل، لعل أهمها الإحساس بضياع هوية الفن والموسيقى في ظل الشتات السوري، اجتمع عدد من الفنانين والمخرجين السوريين، وأسسوا مجموعة "الأصالة السورية للفن والتراث" في مدينة غازي عنتاب التركية مطلع أيلول عام 2016، ولاقت قبل فترة قصيرة إقبالاً شبابياً، حيث بدأ المدرسون بإعطاء دروس تدريبية في مجالات فنية متنوعة.

يتضمن مشروع "الأصالة" ثمانية أقسام رئيسية، أهمها التدريب على "الصولفيج" و"الموشحات والقدود" و"التمثيل المسرحي" و"الرقص العربي"، إضافة لأقسام أخرى كالتدريب على فن التصور ورقص المولوية وإلقاء الشعر والتجويد لإظهار مخارج الحروف، ويقوم بالإشراف على العملية التدريبية والتعليمية تسعة معلمين من ذوي الاختصاصات، يلقنون الطلاب المفاهيم الفنية بطريقة جديدة، وهم "عبد الناصر حلاق" مدرس الموشحات، و"منير أيوبي" مدرس "صولفيج"، وحسام أحمد" مدرس تصوير، و"فواز عمر" مدرس التمثيل المسرحي"، و "ياسر بابللي" مدرس المولوية، و"مهند محلي" مدرس إلقاء الشعر، و"أحمد حناوي" مدرس الرقص العربي"، وأحمد سهيل" مدرس تجويد القرآن، بينما يتولى "نور ياسرجي" مهام الإشراف على التدريب.

المدير الإداري لمجموعة "الأصالة"، حسام الدين أحمد، قال لـ"فوكس حلب" إن "الفن هو واجهة الشعوب، وانطلاقاً من هذه الفكرة نقوم بتدريب الطلاب وفق أسس وضوابط فنية جديدة، وإن كانت تتبع النهج الكلاسيكي، لكي يكون الطالب ملماً بفنه وتراثه، ورسالتنا هي أن نلتقي بالفن لنرتقي بكل الفنون".

وقال "حسام" إنهم وصلوا إلى مراحل متقدمة في تدريب الطلاب، وسيقومون على إحياء حفل فني كبير في عدة مدن تركية خلال وقت قريب، يشمل كامل أقسام المجموعة، ويتم عرضه بطريقة تراثية.

وأضاف "حسام" بأنّ "مجموع أعداد الطلاب في كامل الأقسام بلغ 47 طالباً، تم انتقاؤهم بعد إخضاعهم لاختبارات تتعلق بجودة الصوت وسرعة البديهة، فما نسعى إليه هو الحفاظ على الفن الأصيل والتراث العربي، لذلك يجب أن تكون المجموعة حاويةً لأشخاص أكفاء".

وعلى الرغم من عدد اللاجئين السوريين الكبير في غازي عنتاب (أكثر من نصف مليون)، فإنّ الحركة الفنية تكاد تكون شبه معدومة، كان آخرها عرض لمسرحية "نحن والعالم" في أواخر شهر سبتمبر من العام الماضي، والتي وصّفت الحالة السورية من خلال 12 مشهداً صامتاً.

وتحدث أحد الطلاب، ويُدعى حسن، وهو مغنّ (17 عاماً) لـ "فوكس حلب" قائلاً إنّه استفاد وتطور أداؤه بعد حضوره دروس "الموشحات والقدود الحلبية الأصيلة"، معتبراً أن المشروع سيكون أكثر نجاحاً خلال وقت قصير ويخرّج شباباً يمتلكون مواهب متفردة، لأنّ "العناية شديدة بالطلاب والتدريب في أفضل حال"، حسب قوله.

وبالعودة إلى مدير مجموعة "الأصالة"، أشار إلى أنهم يسعون إلى إنشاء رابطة للفنانين السوريين في تركيا، وافتتاح معهد "الأصالة"، والذي سيكون انطلاقة جديدة من نوعها في تركيا، ويهدف إلى الاندماج مع فرق فنية وموسيقية تركية، وإقامة حفلات معها، مؤكداً أنهم يطمحون في الحصول على ترخيص للمعهد من الحكومة التركية، لتسهيل تنقلاتهم وتدريباتهم.

ولفت "حسام" إلى أن المجموعة لم تتلقَ دعماً من أية جهة حتى الآن، وأنّ تمويلها ذاتي، حيث يخصص عدد من القائمين على المجموعة جزءاً من مالهم لسد النفقات المترتبة على النشاطات والتدريبات، ونوّه على أن المجموعة لن تكون تابعة لأية جهة سياسية أو دينية، فالهدف هو استهداف كافة فئات المجتمع.

ودعا "حسام" كافة الشباب أصحاب المواهب إلى المبادرة والانتساب إلى "أصالة"، كي يكونوا نواة لخلق حالة جديدة من الفن السوري، لا سيما بعد أن سلب مشهد الدم والحرب الأبصار، وحجب الرؤية عن الإبداع الكامن لدى السوريين.

مصطفى حسين.

عاشت سوريا ويسقط الأسد
ثوار حلب
٢٠١٦/٣/٤
GAP